

قراءة أنثروبولوجية حول الفضاء الحضري بالمدينة الجزائرية المخيال الثقافي ضمن ثنائية

ريفي حضري

An anthropological reading of the urban space in the Algerian city the cultural imagination within the rural-urban dichotomy

الجيلالي تواتي*، جامعة بسكرة – محمد خيضر

Djillali Touati, University of Biskra

djillali.touati@univ_biskra.dz

مختار رحاب، جامعة المسيلة – محمد بوضياف

Mokhtar Rahab, University of M'sila

mokhtar.rahab@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2025/09/15 تاريخ القبول: 2025/10/17 تاريخ النشر: 2025/12/31

ملخص:

تعالج هذه الورقة البحثية إشكالية المدينة الجزائرية كفضاء حضري مشغول من المجتمع الذي يعيش مخيالا مشحون بالثقافة الريفية تارة و الحضرية تارة أخرى، وهذا وفقا لسياقات الراهن، وقد وظفنا المنهج الإثنوغرافي بالاستعانة بأداتي الملاحظة المباشرة و المقابلة الحرة، فالفضاء الحضري في الجزائر امتد على حساب المساحات المحيطة بالمدن القديمة المتدرجة في التاريخ من المعمار القديم المتمالك الذي لايزال يصارع عوامل التاريخ كالقصبات و القصور إلى التراث الكولونيالي الذي يلتصق بالبناءات التي ترتبط بالتزوحات الريفية المتعاقبة من غداة الاستعمار إلى فترة التسعينات التي شهدت هي الأخرى تدفق محسوس في السكان باتجاه ريف مدينة، مما جعل بعض الباحثين و الأكاديميين يصفون الظاهرة بعمليات تريف المدينة. كلمات مفتاحية: الريف، المدينة، الفضاء الحضري، المخيال، الثقافة.

Abstract:

This paper addresses the issue of the Algerian city as an urban space occupied by a society that lives a fantasy fraught with rural and urban culture, according to the current contexts, We used an ethnographic approach using two tools direct observation and free-form interview, as the urban space in Algeria has expanded at the expense of the spaces surrounding the old cities, which are steeped in history from the old, dilapidated architecture that still struggles with the elements of history, such as kasbahs and palaces, to the colonial heritage that adheres to the buildings that are associated with successive rural migrations from the aftermath of colonization to the 1990s The urban space in Algeria has expanded at the expense of the spaces surrounding the old cities, which are still struggling with the elements of history, such as kasbahs and palaces, to the colonial heritage that adheres to the buildings that are associated with successive rural migrations from the aftermath of colonisation to the 1990s, which also witnessed a significant influx of population towards the countryside, which made some researchers and academics describe the phenomenon as a process of urbanization of the city.

Keywords: countryside; city ; urban space ;imagination; culture.

1. مقدمة:

تمثل المدينة الجزائرية فضاء للتفاعل الاجتماعي في سياق ثنائية ريف/ مدينة، وهذا ما يعزز مظهرات الثقافة التي يمثلها شاغلوها في الفضاء الحضري الذي تبلور فيه تقاطعات محدّدات متقابلة و متجاورة ك الحداثة وما بعد الحداثة خاصة في ضوء التطور التكنولوجي وتغير صور التواصل والاتصال بين الأفراد في هذا الوسط، وقد شهدت الجزائر على غرار العديد من الدول النامية، تحولات ثقافية وعمرانية عميقة أفرزتها ديناميات الهجرة الريفية نحو المدن، هذه التحولات العميقة التي مست المدن الجزائرية على الأغلب كانت عاملا رئيسيا في إعادة تشكيل الفضاء الحضري وفقا لأنماط سلوك و ثقافة ذات جذور ريفية، ما أدى إلى بروز ظاهرة تريف الفضاء الحضري، وتكمن هذه الظاهرة في تأثير المخيال الثقافي الريفي الذي يحمله الفرد المتنقل من الريف للمدينة، وهو ما يجعلنا ضمن شبكة معقدة من البراديغمات المتشعبة المتجاورة والمتقابلة ضمن الثنائيات ريف/ مدينة في سياق تجاذبات ثنائية الحداثة/ تقليد، ومن هذا المنطلق نجد أنفسنا أمام إشكالية بحاجة إلى تفسير و تحليل أنثروبولوجي و هي ماهي المحدّدات

الأنثروبولوجية التي تعكس تمظهرات المخيال الثقافي الريفي الذي نجد حضوره في الفضاء الحضري بالمدن الجزائرية؟

وتهدف هذه القراءة إلى فهم مختلف التفاعلات بين شاغلي الفضاء الحضري بالمدينة الجزائرية على ضوء التحولات التي أفرزتها عدة عوامل في سياق تراكم تاريخي وثقافي للأحداث وهو ما يجعل الأنثروبولوجيا بمثابة مصباح لتنوير مختلف المفاهيم المشبعة بالغموض.

2. مفاهيم الدراسة

إن التعمق في فهم هذه الإشكالية يحتاج إلى المرور ولو بعجالة عبر بعض المفاهيم التي لابد على الباحث توضيحها للقارئ وتفسير كنهها مع الإعتماد على الأدوات المنهجية المناسبة للبحث الإثنوغرافي كالملاحظة المباشرة والمقابلة الحرة، وسوف نحاول عدم التفصيل فيها مع مراعاة التوضيح والتنوير في آن واحد:

2.1. الريف

إن هذا المصطلح الريف وما يقابله باللغة الفرنسيّة *la campagne* وكذا باللغة الإنجليزية *countryside* لم يكن متداولاً في السابق، حيث نجد أن الدراسات التي عالجت موضوع المدينة لاسيما الكلاسيكية لم تتطرق للموضوع، كما أن ابن خلدون مثلاً نجده يركز في ثنائية البدو/الحضر وليس الريف و المدينة بالرغم أنه تحدث بإسهاب كبير حول المدن بما فيها المدن المغربية، وتشير ملاحظتنا الميدانية إلى أن الريف في الجزائر يضم جميع الأشكال التي تمثل العيش في المناطق الخارجة عن المحيط الحضري، فنجد القرية التي تمثل مدينة صغيرة في العادة تتميز بروابط قرابية قوية تمثل إمتداد للدوائر القرابية حتى الرابعة والخامسة، و نجد كذلك مصطلح "الدوار" في الشمال وكذا "الدشرة" التي تمثل قرى صغيرة توجد بأغلب ولايات منطقة القبائل، كما نجدها أيضاً تمثل تجمعات سكانية صغيرة بباقي الولايات في الشمال يمكن أن تماثل نظيراتها بالمنطقة ويطلق عليها في العادة اسم الجد المتوارث مثل أولاد سيدي محمد، أولاد عمر، أولاد مريم.... وغيرها من الأسماء والألقاب المتداولة على الأرياف بمختلف ربوع الوطن.

يمكننا الإعتماد على بعض التعاريف نذكر منها تعريف ر.ر. فيلد: Robert

Redfield (1897-1958) الأنثروبولوجي الأمريكي: المجتمع الريفي هو مجتمع شعبي بسيط منعزل تسوده الأمية والتجانس، يوجد بين أعضائه إحساس قوي بالتضامن الاجتماعي، تحدد أساليب المعيشة فيه بطريقة آلية وفقاً للنسق المتماusk الذي هو الثقافة (redfield, 1941, p69)، نضع سطرين على هذه المفردة " الثقافة " التي سنتطرق إليها في الآتي.

فالريف كمصطلح يشار به غالباً إلى نمط المعيش التقليدي المعتمد على الزراعة، والذي تشكل القرية جزءاً منه، على إمتداد جغرافي محدد له إسم معين، تستقر عليه مجموعة من الناس كما أشار إلى ذلك الدكتور ياسر محجوب (ناصر، 2025)، لا بد من جعل الريف متاحاً أكثر فأكثر للتمتع سكان المناطق الحضرية، وقد وصف الأنثروبولوجي شارب sharp الريف بوصف نفسية البشر الساكن في الحضر وانجذابه إلى الطبيعة واصفاً ذلك بأنه حتى الآن كان ينظر إليه بشكل رئيسي من الطرقات والسكك الحديدية، ينظر إليها فقط كحديقة لا يمكن للمرء أن يمشي فيها يحتاج سكان الحضر إلى أكثر من ذلك يريدون أن تكون لهم حصة خاصة بهم في ذلك، يريدون المشي فوق ممرات حقولها، وفوق عشبها الربيعي وعبر غاباتها، وعلى طول الأنهار والجداول، أن يشعروا بها ويعرفوها عن قرب، بدلاً من أن يروها فقط عبر السياج، هناك حب حقيقي وعميق للهواء الطلق والأماكن المفتوحة في جميع قطاعات الشعب اليوم، ويتجلى ذلك في الحماس لـ "المشي لمسافات طويلة" (بالتأكيد أكثر بكثير من مجرد جنون عابر) وفيحركة بيوت الشباب المهمة، وكذلك في عادة قيادة السيارات في عادة قيادة السيارات، وفي تطوير البنايات السكنية والشريطية: بطرق تلحق أضرار جسيمة وكذلك في الطرق التي لا تسبب أي ضرر. (sharp, 1931, p 89).

2.2 المدينة city

إن مفهوم المدينة من المفاهيم التي أسالت الكثير من الحبر من طرف العلماء و الباحثين من مختلف مشاربهم البحثية، وهذا ليس بالجديد بداية من الوصف الإثنوغرافي للأنثروبولوجيون و الرحالة و المبشرين إلى غاية اليوم أين تشهد المدن ثورة في التطور على المستوى المادي والتكنولوجي، وقد وصفها البعض المدينة الأوروبية بكون تخطيط الإسكان وتخطيط المدن في الآونة الأخيرة معاقاً - بقصد القرن الثامن عشر- لأن أولئك الذين قاموا بهذا العمل لم يكن لديهم فكرة واضحة عن الوظائف الاجتماعية للمدينة، فقد سعوا إلى استخلاص هذه الوظائف من مسح سريع لأنشطة واهتمامات المشهد الحضري المعاصر، ولم يشكوا- على ما يبدو- في أنه قد تكون هناك أوجه قصور جسيمة، وجهود غير موجهة توجيهاً خاطئاً، ونفقات خاطئة لا يمكن إصلاحها بمجرد بناء مساكن صحية أو توسيع الشوارع الضيقة خضعت المدينة كحقيقة مادية بحتة للعديد منالعدد من الأبحاث، ولكن ما هي المدينة كمؤسسة اجتماعية؟ الإجابات السابقة على هذه الأسئلة، في أرسطو وأفلاطون والكتاب الطوباويين من السير توماس مور إلى روبرت أوين، كانت الإجابات السابقة على هذه الأسئلة أكثر إرضاءً من إجابات علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا الأكثر منهجية.

معظم الأطروحات المعاصرة عن "علم الاجتماع الحضري" في أمريكا لا تلقي أي ضوءاً مهماً على المشكلة ، كان أحد أصح التعريفات للمدينة هو ذلك الذي صاغه جون ستو، وهو مراقب صادق في لندن الإليزابيثية، الذي قال " : يتجمع الرجال في المدن والكومنولثات من أجل الأمانة والمنفعة، فهذه هي السلع التي تأتي من خلال المدن والكومنولثات والشركات ، أولاً: إِنَّ النَّاسَ بِهَذَا التَّقَارُبِ مِنَ الْمَحَادَثَةِ يَنْصَرِفُونَ عَنِ الشَّرَاسَةِ الِهْمَجِيَّةِ وَالْقُوَّةِ إِلَى بَعْضِ الْاِعْتِدَالِ فِي الْأَخْلَاقِ، وَإِلَى الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْعَدْلِ، فَيَقْتَنِعُونَ بِذَلِكَ عَنْ بَعْضِ مَا كَانِ يَرْضَوْنَ أَنْ يَعْطُوا وَيَأْخُذُوا الْحَقَّ مِنْ مَسَاوِيهِمْ وَمِنْ مَسَاوِيهِمْ وَأَقْلَ شَأناً، والسمع والطاعة لرؤسائهم في السمع والطاعة كما أنأيضاً تَعْلِيمُ دِينِ اللَّهِ أَوَّلَى بِالنَّسْلِيمِ وَالتَّادِيَةِ أَكْثَرُ مَلَاءَمَةً لِنَفْسِهَا فِي الْمَدَنِ الْمَاهُولَةِ بِالسَّكَنِ مِنْ خَارِجِهَا بِسَبِيلِ سُهُولَةٍ الْاجْتِمَاعِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَلِذَلِكَ يَكُونُ هَؤُلَاءِ السَّكَنِ أَفْضَلَ تَدْبِيراً فِي النِّظَامِ، وَأَفْضَلَ تَعْلِماً فِي الْحِكْمَةِ... وَقَدْ سُبِّي حُسْنُ التَّدْبِيرِ مَعَ ذَلِكَ أَوْزَنَةً لِأَنَّهُ يُوجَدُ فِي الْمَدَنِ أَكْثَرُ مِمَّا يُوجَدُ فِي غَيْرِهَا. وَبِالْجُمْلَةِ فَبِالْإِسْمَاعِ الْغَالِبِ 480 ثقافة المديكونون أكثر اقتناعاً في الدين، ولأنهم يعيشون في أعيننا الآخرين، فهم بالقُدوة يسهل تدريبهم على العدالة، وبالحياة من الحياء يترجون عنوالحياء يكبح جماحهم عن الأذى" ، وحيث أن الكومنولثات والممالك لا يمكن أن يكون لها بعد ديني أي الدين، أي أساس أوثق من محبة وحسن نية رجل تجاه آخر رجل تجاه آخر، وهذا أيضاً يترتب بشكل وثيق ويحافظ عليه فيالمدن، حيث الرجال من خلال المجتمع المتبادل والرفقة معاً تنمو إلى التحالفات والجمعيات والشركات لا أمل في إضافة الكثير إلى البصيرة الأساسية لهذا وصف العملية الحضرية أود أن أخص المفهوم السوسيولوجي مفهوم المدينة في هذه المصطلحات.

وقد عرف ممفورد المدينة عبارة عن مجموعة مترابطة من المجموعات الأولية والروابط القصدية الجمعية: الأولى، مثل الأسرة والجوار، مشتركة بين جميع المجتمعات، في حين أن الثانية هي سمة خاصة من سمات حياة المدينة ، تدعم هذه المجموعات المتنوعة نفسها من خلال المنظمات الاقتصادية التي هي بالمثل ذات طابع مؤسسي بشكل أو بآخر، أو على الأقل ذات طابع عام منظم بشكل أو بآخر، وجميعها موجودة في هياكل دائمة داخل منطقة محدودة نسبياً، إن الوسائل المادية الأساسية المادية الأساسية لوجود المدينة هي الموقع الثابت، والمأوى الدائم والمرافق الدائمة للتجمع والتبادل والتخزين، والوسائل الاجتماعية الأساسية هي التقسيم الاجتماعي للعمل الذي يخدم ليس فقط الحياة الاقتصادية بل أيضاً العمليات الثقافية ، (mumford, 1970, p145) إن النظر إلى المدينة كإسقاط المجتمع على الفضاء هو نقطة انطلاق أساسية وبيان مبالغ فيه على حد سواء.

وعليه يمكن استخلاص بأن المدينة هي فضاء للتنوع و اللاتجانس عكس الريف والقرية الذي يتميز بالتشابه والتجانس بين شاغلي هذا الحيز الجغرافي.

3.2 الفضاء الحضري UrbanSpace

يرتبط هذا الجذر بشكل مباشر بالمدينة، لذلك فإن تفكيك المفهوم يحتاج قطعياً إلى فهم الفضاء على حدى و الحضري على حدى أيضاً هو لثمنوج مادي، في علاقته بعناصر مادية أخرى - كونا الفضاء هو مجموعة العناصر المادية - بما في ذلك الأشخاص، الذين يدخلون هم أنفسهم في علاقات اجتماعية محددة، والتي تعطي الفضاء (والعناصر الأخرى للتركيبية) شكلاً (والعناصر الأخرى للتركيبية والعناصر الأخرى للتركيبية) شكلاً ووظيفة ودلالة اجتماعية ، وبالتالي فهي ليست مناسبة خالصة لنشر البنية الاجتماعية، بل هي تعبير ملموس عن البنية الاجتماعية، بل هو التعبير الملموس عن كل بنية تاريخية حدد فيه المجتمع نفسه ، لذلك يمكننا العودة إلى التعريف الذي صاغه ممفورد سابقاً وركز على الثقافة الحضرية المتمثلة في الأخلاق الدينية، فنحن نزيدنا الإسلام رفعة في نشر الحضرية بالمحافظة على النظام وبث القيم الدينية التي تسهم في العدالة والمساواة بين الساكنة (castel, 1981;p 68).

لذلك سوف نقوم بإعتماد تعريفنا الذي قمنا بصياغته في أطروحتنا كما يلي (تواتي، 2025) " هو ذلك الحيز الجغرافي الذي يحتوي مجالا ثقافيا وفق مكون قيمي و رمزي و التي تبرز فيه طبيعة الرابط الاجتماعي وفق ثنائية قوة/ ضعف تبعا للمتغيرات التي تعيشها المدينة الجزائرية اليوم.

4.2 المخيال الاجتماعي social imagination

يعتبر السوسيولوجي البارز CORNELIUS CASTORIADIS لقد رأينا أننا لا نستطيع فهم المؤسسات ناهيك عن الحياة الاجتماعية بأكملها كنظام وظيفي (CASTORIADIS, 1975) ، وسلسلة متكاملة من الترتيبات الخاضعة لاحتياجات المجتمع. لأن أي تفسير من هذا النوع يثير على الفور السؤال التالي: وظيفي في العلاقة بـ ماذا وإلى ماذا ينتهي- وهو سؤال لا إجابة له ضمن منظور وظيفي. "وظيفية من حيث أنها يجب أن تضمن بالضرورة بقاء المجتمع المعني." لكن ما نسميها بالبقاء على قيد الحياة له محتوى مختلف تماماً اعتماداً على المجتمع الذي نفكر فيه وفيما وراء هذا الجانب، فإن المؤسسات هي وبعيداً عن هذا الجانب، هي "fonchonnelles" فيما يتعلق بالغايات التي ليست وظيفة ولا نقيضها ، ويفسر ذلك بأن أي مجتمع مصمم أساساً للسماح لطبقة من الأسياد بشن حروب لا نهاية لها من الأمراء لشن حروب لا نهاية لها، أخيراً، مجتمع مثل الرأسمالية الحديثة، التي تخلق باستمرار احتياجات جديدة وتستنفد نفسها في إشباعها، لا يمكن وصفها وفهم وظيفتها ذاتها إلا فيما يتعلق بالأهداف والتوجهات

وسلاسل المعنى التي لا تهرب فقط من الوظيفة، بل التي تكون وظيفتها الوظيفة تابعة لها إلى حد كبير.

كما لا يمكننا أن نفهم المؤسسات ببساطة كشبكة رمزية "تشكل المؤسسات شبكة لكن هذه الشبكة، بحكم تعريفها، تشير إلى شيء آخر من الرمزية، إن أي تفسير رمزي بحث للمؤسسات يفتح على الفور هذه الأسئلة: لماذا هذا النظام من الرموز وليس غيره ؟ ما هي معاني الرموز ؟، نظام الدلالات الذي يحيل إليه نظام الدلالات نظام الدلالات ؟ لماذا وكيف يمكن للشبكات الرمزية أن تصبح مستقلة بذاتها؟ ونحن نشك بالفعل في أن الإجابات على هذه الأسئلة مرتبطة بشكل عميق.

5.2 الثقافة

الثقافة يعد من المفاهيم المركزية في الدراسات الأنثروبولوجية، لاسيما وأن جزء من منهجية كل علم هو مفرداته، مجموعة من المصطلحات والمفاهيم الأساسية والمفاهيم الأساسية. وفي الفيزياء تشمل هذه المصطلحات الكتلة والقوة والسرعة وكمية الحركة للأنثروبولوجيا الثقافية أيضاً مصطلحاتها ومفاهيمها الأساسية، والتي، وفقاً لإيفانز-بريتشارد (EVANS-PRITCHARD, 1951)، تشمل "المجتمع" و"العرف" و"البنية" و"الوظيفة" وبالطبع الثقافة ، ومن بين هذه المصطلحات، الثقافة هي الأكثر مركزية، المشكلة أنه لا يوجد تعريف رسمي واحد فهناك تعريفات كثيرة للثقافة بعدد ما يوجد من تعريفات للثقافة عدداً للأنثروبولوجيين الثقافيين ، في الواقع هناك مقاربات أساسية مختلفة لتعريف إحدى المقاربات تفهم الثقافة على أنها أفكار أو معتقدات في المقام الأول، أي أنها في الأساس "في رؤوس الناس".

من هذا المنظور، لا يمكننا أن "نرى" الثقافة حقاً ولكن يمكننا استنتاجها من السلوكيات التي يخطر فيها الناس ، هناك نهج آخر يربط الثقافة على أنها مجموعة من الحقائق الحقيقية، وإن كانت "حقائق اجتماعية فيما يتعلق بالسلوك القابل للملاحظة ونواتج هذا السلوك، بما في ذلك القواعد والجماعات والمؤسسات التي تشكل حياة الناس ، ويمكن أن تشير الثقافة حتى إلى الأشياء المادية مثل الأدوات والمنازل، وفي نهاية المطاف، تشمل الثقافة بلا شك كل هذه الأشياء الثلاثة.

لذلك لا يوجد تعريف موثوق أو مشترك عالمياً للثقافة ، ولكن إذا كان هناك تعريف الأكثر تأثيراً والأكثر اقتباساً للثقافة في الأنثروبولوجيا فهو التعريف الذي قدمه عالم الأنثروبولوجيا المبكر E. B. Tylor في كتابه الصادر عام 1871 الثقافة البدائية، تم اقتباسه هنا ليس لأنه تعريف مثالي أو نهائي بل لأنه يلتقط معظم مكونات الثقافة والأنثروبولوجيا الثقافية ، الثقافة أو الحضارة، بمعناها الإثنوغرافي الواسع، هي ذلك الكل المركب الكلي الذي يشمل المعرفة والمعتقد والفن والأخلاق

والقانون والعرف وأي القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع (ELLER, 2009, p235).

يمكن فهم الثقافة إذن على أنها تلك الطرق في التفكير والشعور والسلوك والناتج الاجتماعية والمادية لتلك الطرق، والتي يتم تقاسمها بين مجموعة من الناس ليس على أساس السمات الفطرية أو الجسدية بل على أساس الخبرة المشتركة والتعلم المتبادل يتضمن هذا التوصيف وتوصيف تايلور تتضمن الثقافة عدة مفاهيم رئيسية يمكن أن نعتبرها الصفات الكلاسيكية للثقافة:

تعليمية: أي أنها مكتسبة تقوم على أساس التراكم الذي ينشأ عن طريق التنشئة الاجتماعية. مشتركة: أي أنها تمثل الجماعة الاجتماعية التي تمثل ثقافة معينة أو كما يمكن أن نشير إلى المجتمع المحلي.

الرمزية: كل ثقافة تتفرع إلى أنماط ثقافية تمثلها الطقوس الممارسة التي عادة ما تكون تعبر عن دلالات ومعاني.

المتكاملة: أي أن العناصر الثقافية تتكامل وتتشابك فيما بينها.

التكيفية: أي أنها تتكيف مع التغير والتحويلات التي تمس المجتمعات.

تشير المواجهات المعاصرة مع الثقافة في السياق المعولم الحديث إلى أن هذه السمات القياسية لا تستوعب ثراءها الكامل ، وعلى وجه الخصوص ، فإن الثقافة لطالما اتسمت "بحركيتها (الجغرافية والاجتماعية) والتعقيد والتجزئة والتناقض والمخاطرة والتفكك (Heibert, 1976, p86) لذلك يمكننا أن نضيف أن الثقافة، في كل الأزمنة والأماكن ولكن خاصة وبشكل حاسم في اللحظة الراهنة، يتم إنتاجها وممارستها من خلال الفعل الإنساني القائم وأنها تتداول عبر الحدود الاجتماعية والوطنية، وهذا يعني أن "الثقافة" لا يمكن أن تُنسب ببساطة وبلا إشكالية إلى "مجتمع ما" ولا يمكن حصرها في منطقة محددة بوضوح.

3. ثنائية ريف مدينة في الجزائر: السياق والتحويلات

1.3 التصور الأنثروبولوجي لثنائية المدينة/ ريف

هناك نقطة أخرى مهمة للغاية أثارها Damingzhou (Zhou, 2022, p91) وهي الربط بين الاندماج الثقافي الحضري والريفي، وهو موضوع يستحق الدراسة ، لقد اعتدنا التأكيد على الاختلافات بين الثقافات الحضرية والريفية ، من الآن فصاعداً، أدى تأثير الإنترنت إلى خلط دمج الثقافات الحضرية والريفية ، في الماضي، كان علماء الأنثروبولوجيا يريدون دائماً العثور على مجموعات صغيرة معزولة للبحث، وكان حقل مالبينوفسكي في جزر تروبرياند ، فقد كانت

جزر تروبريانند مشهداً مثاليًا للحقل ، بعد ذلك ، طرح المجتمع المتنقلا قترًا جديدًا للأنثروبولوجيا ، إن فهم الأنثروبولوجيا للديناميكيات الثقافية والعرض الجماعي لحياة الناس أصبح أمرًا أساسيًا. يجب على علماء الأنثروبولوجيا مواجهة مشاكل التحول في الثقافة في "المجتمع السائل" الذي اقترحه زيجمونتبأومان ، وفهم التعبير عن الذات وتصحيح الثقافة ذلك ، فإن فهم الثقافة يمكن أن يفسر معنى الثقافة بأكملها المرتبطة بها باستخدام الفيديو المقطوع كدليل.

أنتجت الإنترنت زوجًا من المفاهيم المهمة : "الإنترنت" و "الأونلاين" ، كما أفرزت الإنترنت أيضًا مفهومي "أوفيني" و "أونلاين" اللذين يمثلان دليلًا للزمان والمكان "أونلاين" ، كما ترى ، يمكننا أن نرى الناس مباشرة في أماكن مختلفة من خلال كوايشو وتيكتوك (دوين) ، وكيفية أدائهم ، وطريقة أدائهم ، وليس بالضرورة أن تكون مشهورة ، ولكنك ترغب في مشاهدتها لأنها تعرض شيئًا مختلفًا عنك ، إذا كانت تعرض نفس الشيء الذي تعرضه أنت ، فلن يهتم الناس.

بالإضافة إلى ذلك ، إذا نظرت إلى Douyin و Kuaishou ، في نظر بعض الفنانين ، فإنهم يشعرون أن هذا ليس أنيقًا ، لكن تأثيرهم أكبر من تأثير النجوم العاديين ، والعديد من الممثلين المحترفين غير مقتنعين ، فقد أصبحت صناعة المحتوى تجلب الكثير من المتابعين الذين على أوقاتهم أو جزء من وقتهم في متابعة شخص لا يعرفونه لكنه يجلبهم حسب الانطباع و الموضوع الذي يبرزه ، وقد سعى البعض ذلك بعصر التفاهة كما ذكر البعض من مظاهرها أستاذ الفلسفة في كتاب نظام التفاهة (دونوألن ، 2020 ، ص 84) ، حيث أن التعمق في التفاصيل أصبح يدر أموالًا طائلة وأصبح المؤثرين من بعض الناس الذين يمكن أن يضعهم في درجات دنيا في المستويات القيمة للمجتمع التقليدي.

لكن في الوقت الراهن ينظر إلى الريف على أنه حاضن للتقليد والأصالة وقوة الروابط الاجتماعية ، بينما تشير المدينة إلى التمدن والتحضر وما يمتد إلى ذلك من حداثة وتحديث ترتبط بالفرد الشاغل للمدينة.

2.3 الزوج الريفي نحو المدينة

أدخل هنا منذ الاستقلال ، شهدت الجزائر عدة موجات نزوح نحو المدينة ، أي انتقال سكان الريف إلى المدن وهذا بسبب توافر عوامل الجذب في المدن خاصة الكبرى منها و افتقاد الأرياف عليها ، وقد شهدت عمليات النزوح فترات كانت جماعية خاصة خلال فترة التسعينات التي تميزت بأزمة أمنية ، مما حتم على أصحاب الأرياف ترك مساكنهم و مزارعهم و التوجه نحو المدن وشغل الفضاءات غير المشغولة بطريقة لا تحترم التنظيمات و القوانين التي تحترم العمران في المدن ، فقدت المدن سيميائيتها القديمة خاصة الموروثة عن العمق الحضاري التاريخي لبعض

المدن، بالمقابل وجد الفرد المتنقل من الريف إلى المدينة صعوبة في الاندماج في الثقافة الحضرية وقد شكل هذا الانتقال حراك ثقافي خاص في تحول بسبب ديناميكية الاندماج في المحيط الحضري للمتنقل وكذا عمليات التثاقف التي توازي ذلك.

وقد طرح الباحث مفهوماً يترادف مع التريف وهو التمدن (فروج ميلود، 2015، ص 65) الذي يصف فيه اكتساب الريفي للسلوك وعادات المدينة التي يعيش فيها.

4.المخيل الثقافي الريفي ودوره في تريف المحيط الحضري في المدينة

يمثل المخيل الثقافي في السياق الريفي الروابط القرابية بشكل رئيسي الذي ينعكس على نمط السكن الجماعي والتقاليد و الثقافة بشكل عام، وقد رأينا ذلك في عدة أحياء مثل تلك التي كانت شاغلة للفضاءات الحضرية الشاغرة بالمدن الكبرى و التي وصفتها السلطات العمومية في عدة مرات بالسكنات غير اللائقة، حيث قام البعض في تسعينيات القرن الماضي وحتى بداية الألفية الثانية بتشديد سكنات قصديرية ببعض الأماكن بالعاصمة – على سبيل المثال وليس الحصر- مثل تلك التابعة لبلديات براق و الحراش و الدار البيضاء و غيرها مثل حي الرمي الباخرة المحطمة، كوريفة...و غيرها (ع.م، 2025) ، وقد تولد عن ذلك أيضا انتشار التجارة غير المقننة مثل البيع على الطرق و الساحات العمومية كالتى بساحة الشهداء و التي لا تزال إلى حد الآن كما يضيف نفس المبحوث.

إن التمثلات الاجتماعية للمخيل الثقافي الريفي بالمدن الجزائرية لا يمكن حصرها كونها

تمثلها طقوس وممارسات فردية وجماعية تجعل من الفرد ريفي عقلية ويحتاج إلى وقت طويل للانندماج في الفضاء الحضري واكتساب الثقافة الحضرية.

يمكن للأماكن التي يعيش فيها الناس ويمارسون فيها نشاطهم أن تكون بمثابة دعاء م ولكن أيضاً كعوامل فعالة بشكل أو بآخر في الحفاظ على تماسك وترابط الجماعة وبديل التماسك على تشابه المواقف والممارسات ، ويتمظهر في المجتمع من خلال مختلف أشكال التضامن والرجوع إلى نفس مجموعة القيم والمعايير.

1.4 مفهوم "القرية في المدينة"

منذ مدرسة شيكاغو وحتى يومنا هذا، ساهمت العديد من الدراسات في إشاعة مفهوم "القرية في المدينة"، التي توحد سكانها من خلال روابط متعددة تتقاطع فيها الجيرة والقرابة والصداقة والتضامن المهني، وهذا الموضوع يتوافق مع مجموعة من الحالات المختلفة جداً، من حي الطبقة العاملة القديم حيث تستقر عائلات العمال والحرفيين وأصحاب المتاجر الصغيرة منذ فترة

طويلة، إلى مجتمع المهاجرين المستقر في قطاع من التوسعات العمرانية حيث تتركز علامات هويته العرقية أو الدينية، وأدوات تماسكه، وأحياناً حتى وسائل استقلالية شبه اقتصادية. عندما يتم استحضار استعارة القرية، عادةً ما تُستخدم استعارة القرية لوصف طريقة الوجود في المدينة التي تتميز بعدد من السمات المرتبطة بها والتي يمكن أن تقع في نطاق التمثيلات الثقافية التي تدل على مؤشرات لقوة الرابط الاجتماعي، حيث عادة ما تمثل القرية الروابط الاجتماعية القربانية الذي تنتج عمليات الزواج والمصاهرة.

2.4 تجانس السكان وأنماط الحياة

يدل التماهي القوي مع منطقة صغيرة تجري فيها معظم الأنشطة الاجتماعية ، حيث أن الوجود الذي يتمحور حول البيئة البشرية في الحي بدلاً من المنزل ، فكثافة المعارف في الحيز المحلي حيث تنتشر شبكات المساعدة المتبادلة الفعالة، والتي هي أيضاً أدوات للسيطرة الاجتماعية على الحي ، وبعيداً عن أكثر تجسيدات التقاليد، فإن موضوع حي القرية عزيز على قلوب العديد من سكان المدينة. فحيثما كانت الخصائص المادية للمباني و"روح المكان" تلائمها، يمكن للسكان استخدامها للإشادة بالحياة المحلية النابضة بالحياة. وهذا هو الحال على وجه الخصوص في الأحياء القديمة الراقية في المدن الكبرى، حيث يتغنى الوافدون الجدد من الطبقات الوسطى والعليا في كثير من الأحيان بالشعور "القروي" لبيئتهم السكنية. وبالنسبة لهم، غالباً ما يكون ذلك وسيلة لإعلان فضائل التنوع الخالي من النزاعات والانسجام الاجتماعي مع السكان الأكبر سناً من الطبقة العاملة، بالمقابل ينظر إلى الاندماج في المدينة كعملية استيعاب ، يمكن أيضاً فهم الاندماج من منظور المجتمع ككل، أي كيان جماعي محدد بثقافة وطنية وبنية اجتماعية واقتصادية ومجموعة من المؤسسات. ومن خلال فهمها بهذه الطريقة، غالباً ما تثار مسألة الاندماج فيما يتعلق بالسكان المهاجرين، ومن ثم تميل إلى الانضمام إلى مسألة الاستيعاب، أي عملية جعل الآخر شخصاً "مشابهاً"، يتشارك نفس النماذج الثقافية، ويجد مكانه في نظام وطني من الأنشطة المترابطة، ويشترك كمواطن في المؤسسات التي تهيكل الحياة العامة.

تتغذى المدن باستمرار من الوافدين الجدد من المناطق النائية، من مناطق أخرى أو بلدان أخرى. وبالنسبة لبعض هؤلاء المهاجرين على الأقل، يتم اندماجهم الاجتماعي والثقافي التدريجي من خلال تجربة الحياة الحضرية.

3.4 المدينة كفضاء للتنشئة الاجتماعية

يمكن النظر إلى مفهوم التنشئة الاجتماعية من منظورين:

-يشير في المنظور الأول إلى جميع آليات التعلم التي تمكن الأفراد من استيعاب قيم ومعايير مجتمع معين أو مجموعة اجتماعية معينة. ومن خلال تبني طرق التفكير والتصرف التي يتم غرسها فيهم منذ الطفولة المبكرة، تضمن الأجيال الجديدة بقاء الثقافات الوطنية، وكذلك ثقافات فرعية محددة.

وهذه الطريقة، يكتسبون المهارات اللغوية والمعرفية والمواقف الأخلاقية وقواعد السلوك التي تمنحهم الشعور بالانتماء، وبالتالي تعزيز اندماجهم في التجمعات الاجتماعية التي يساعدون على إدامة تماسكها.

- يمكن لمفهوم التنشئة الاجتماعية أن يشير أيضاً إلى التفاعلات المختلفة التي تؤسس لأشكال محددة من العلاقات بين الأفراد. فمن أكثرها زوالاً إلى أكثرها رسوخاً، ومن أكثرها زوالاً إلى أكثرها دواماً، تشكل هذه التفاعلات المتبادلة مصدر التأثيرات المتبادلة بين الكائنات الاجتماعية. من خلال هذه التفاعلات.

طرق التواجد معاً، وطرق التعايش، وأيضاً أنظمة من المواقف التي يمكن أن تتطور على مدار التجارب الفردية (francois, 2025, p72).

-أنماط السكن والتخطيط الحضري

أما الجوانب المادية فنجد أن سيميائية المدن لا تزال تبعث بتشوهات عمرانية كبيرة وجدت السلطات العمومية نفسها أمام وضعيات مستعصية في استغلال أملاك الدولة والبناء على حساب الفضاء العمومي المشترك مثل الأرصفة والتوسع في المساحات العمومية وعدم احترام القوانين السارية والتنظيمات المرتبطة بالتهيئة العمرانية و التعمير بالمدن نذكر على سبيل المثال وليس الحصر تشييد بنايات بدون رخصة بناء وفي بعض الحالات في أملاك تابعة للبلديات وليس للشخص الذي استفاد من القطعة، وهذا ما يجعلنا نقتفي أثر المخيال الثقافي أو/ عقلية الريف التي تتميز بتشديد السياج في المزارع المحيطة بالمنزل خاصة لدى العائلات البتريركية التي تتميز أراضيهم باللانقسام، وقد وضع ذلك المبحوث بكون أصحاب الأرياف كونهم مزارعين سابقين يقومون بوضع أسيجة محيطة بالمسكن (الزرب من الزريبة) ويتم عزلها بإحكام عن القطيع من الأغنام والبقر المملوكة حتى لا تصل إلى المزارع التي يتم فيها زراعة الخضر و الفواكه التي تستهلكها العائلة وقد تم تسمية هذه الزراعة بالاقصاد العائلي.

-التفاعلات الاجتماعية

تمثل القرابة النطاق المركزي للفرد الريفي الذي نزح نحو المدينة، حيث تميزت بأنها نقطة التقاء الطقوس التي تتم بين أفراد الحيز الجغرافي المشترك، حيث لاحظنا تجمع الأقارب في المجمعات السكانية في التسعينات وهذا من أجل الحفاظ على قوة الروابط الاجتماعية التي تجمع سكان الريف وبمجرد قيام فرد من مجموعة قرابية معينة بالسكن في البيوت القصديرية التي شيدت على أطراف المدن خاصة خلال الفترة التي تميزت بأزمة أمنية في التسعينات، يقوم هذا الأخير بجلب أقاربه حيث يشكلون مجموعة قرابية جديدة وهذا ما يبرز قوة الرابط الاجتماعي الذي يركز على محوري الحماية والاعتراف، أي أن الشخص يحس ببعض الحماية بمجرد تواجد أحد الأقرب بجواره، وتقوم التفاعلات الاجتماعية على أساس المعاشرة الاجتماعية.

-الاقتصاد غير الرسمي

نذكر ليس على سبيل الحصر أنه من خلال الملاحظات المباشرة المسجلة على مستوى بعض الأسواق ببعض المدن الجزائرية والتي يتم من خلالها عرض السلع على الأرصفة و الساحات العمومية، يبدو لنا وجود عدد معتبر من الباعة الذين يعتمدون على هذه النشاطات كانوا قبل مدة زمنية في الريف، وتمثل هذه المهنة مرحلة من مراحل الاندماج في الوسط الحضري المتمدن، فالذين يطلقون مفهوم (تريف المدينة) يحاولون وصف شعورهم حيال هذه المظاهر التي تحاول السلطات العمومية القضاء عليها لكن قبل ذلك يجب التفكير في كيفية احتواء هذه الكتلة (البطالة) التي يجب أن تنخرط في التنظيم العمراني المجسد.

-أنماط الاستهلاك والممارسات اليومية

بالرغم من الانتقال المادي للجزائري غير أنه بقي بمخيال ثقافي ريفي ولم يندمج بشكل كلي في الحداثة التي تعيشها المدن في العالم، حيث حافظ على الأنماط الثقافية التي كان يعيشها قبل في الريف، وهذا من خلال طريقة ملبسه و طعامه ولغته هذا لحفاظه على الرابط الاجتماعي القوي الذي يربطه بمحيط الأسرة التي ينتمي إليها، فهو لا يزال يصارع من أجل الدفاع على هويته الثقافية المحلية، وبالرغم من أزمة السكن التي عاشتها المدن الجزائرية قبل سنوات ولم تقضي عليها السلطات العمومية بشكل نهائي بالرغم من رفع هذا الرهان منذ عقود، غير أن الأسرة البتريركية لا تزال تسجل حضورها في الفضاء الحضري ولو على المستوى الثقافي.

5. انعكاسات تريف الفضاء الحضري على المدينة

كما سبق وذكرنا فإن التريف يتمظهر من خلال تمظهرات متعددة تسجلها الملاحظات التي لا تزال تتجلى من خلال الطقوس اليومية للفرد المنتقل -أقصد انتقال من الريف نحو المدينة، فالطابع المعماري للمدن لم يعد يستطيع الحفاظ على تجانسه السابق، بسبب عدم قدرة الوافد

الجديد على التكيف مع متطلبات العيش في المدينة، فيضطر إلى الحفاظ على قيمه الريفية التي يحملها.

لذلك لا حظنا لعقود انتشار البيوت القصديرية حول أطراف المدينة دون مراعاة القوانين المنظمة للتعمير والبناء في المدينة.

1.5 إضعاف الهوية الحضرية

أسهم التدفق المتزايد على المدن و استمرار الانتقال من الريف نحو المدن بسبب العوامل الاقتصادية والثقافية التي تقوي عامل الجذب نحو المدن، التي لم تستطيع القدرة على استيعاب الحجم المتزايد من السكان فتسببت أزمة السكن و البطالة التي ترافقتا في انتشار طقوس دخيلة في الفضاء الحضري وأسهمت في اضمحلال العناصر الثقافية للمدينة، و هنا تطرح إشكالية المدنية أو الحضرية citadinité كبرادغم رئيسي يتشكل بين الحضرية والترريف في مدننا.

2.5 تحديات التنمية والتخطيط

لأنه إذا كان علينا أن نذهب إلى ما هو أبعد من تجريبية الجغرافيا الوصف، فإننا نواجه خطرًا كبيرًا في تخيل الفضاء كصفحة بيضاء يمكن أن ننقش عليها عمل الجماعات والمؤسسات، دون أن نتجاهلنا أي مؤسسات، دون أن نواجه أي عائق سوى آثار الأجيال الماضية. أجيال. وهذا هو بمثابة رؤية الطبيعة على أنها تتشكل بالكامل من قبل الثقافة، في حين أن المشكلة الاجتماعية برمتها تنشأ من الاتحاد الذي لا ينفصم للاتحاد غير القابل للانفصام بين هذين المصطلحين، من خلال العملية من خلال العملية الديالكتيكية التي من خلالها نوع بيولوجي معين (خاص، لأنه منقسم إلى طبقات)، "الإنسان"، يحول نفسه وبيئته في صراعه من أجل الحياة ومن أجل الاستيلاء التفاضلي على نتاج عمله. الاستيلاء على نتاج عمله.

في الجزائر لا تزال السلطات العمومية تواجه تحديات كبيرة من أجل تحسين عمران المدينة و تزيينه و في سبيل ذلك قامت بعدة مشاريع تندرج في سياق مخططات تنمية وطنية و قطاعية و حتى محلية، وهذا من أجل الحصول على مدن معاصرة، من بين ذلك تجسيد القوانين المتعلقة بالقضاء على البناءات و العمران غير القانوني و إدماجه في القانون مثل قانون 08/15 المتعلق بتسوية و مختلف القوانين التي تحاول الدولة الجزائرية جاهدة من أجل

6. خاتمة

إن الحراك الاجتماعي و الثقافي الذي يعيشه المجتمع الجزائري برمته، يتجلى انعكاسه في التظاهرات الاجتماعية التي تعيشها مدننا، التي لا تزال تحاول استعادة مدنيها الضائعة بسبب محددات التريف الذي جاء نتيجة النزوحات الريفية التي تعاقبت غداة الاستقلال إلى يومنا هذا،

ومحافظة الريفي على ثقافته الريفية بالرغم تغير لمحيطة المادي و اقتصاده الذي أصبح يعتمد على المدخول اليومي المستقل عكس المشترك كما في السابق، وبالتالي ولد خفتان الرابط الاجتماعي الذي أصبح يميز الفرد بأنه بدأ في التخلي عن المخيال الثقافي الريفي و بداية اندماجه في الفضاء الحضري خاصة مع استمرار الحالة الأمنية وتسجيل نوع من الاستقرار، بالموازاة مع المخططات التي تحاول تجسيدها وبوتيرة متسارعة من أجل الوصول إلى مدن عصرية تتجلى فيها صور الحضرية و الحداثة، وتحضرنا هنا استشارة السكن العمودي على حساب النموذج الأفقي و بالتالي اكتساب الطقوس الحضرية للفرد الشاغل لهذه الأجزاء العمرانية.

إذن يمكننا القول بأن التريف مصطلح واسع يسري فيه الشعب والتعقيد كغيره من المفاهيم التي تحاول الأنثروبولوجيا تحليلها وتفسيرها، وهنا يمكننا التركيز على الاندماج في المدينة، و التكيف للوصول للعملية الخيرة وهي التحضر و اكتساب الثقافة الحضري، وهذا ما يجمع عليه الأنثروبولوجيون الحضريون كون العملية تدون جيلين أو ثلاثة و لا تتم بالصورة التي يراها عامة الناس وهناك دراسات مماثلة أثبتت ذلك كثقافة الفقر للويس اوسكار الذي درس عينة عن العائلات الفقيرة بمدينة شيكاغو بأمريكا في النصف الأول من القرن الماضي، وحلل ظاهرة الفقر وعناصرها الثقافية وأفرد عمله البحثي بنظريته المشهورة ((نظرية الفقر) وهذا ما يمكن مماثلته بالمخيال الثقافي لدى الأسر الريفية التي تحاول الحفاظ على طقوسها و ممارستها بجبروت لا يتناسب مع ثقافة العيش في المدينة مما جعلنا نطلق مفهوم تريف المدينة على مدنها في الجزائر.

7. قائمة المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

- دونوآلان، (2020)، نظام التفاهة، دار السؤال للنشر، بيروت.
- تواتي، أ، (2025)، الرابط الاجتماعي بين القطيعة وإعادة الإنتاج ضمن الفضاء الحضري بالمدينة الجزائرية مقارنة أنثروبولوجية بمدينة المدية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

المقالات

- ميلود فروج. (2015). المدينة الجزائرية بين التريف والتمدن. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 44، الصفحات من 77-90.

- مواقع الانترنت
- ناصر، ر، (2025/03/19) علم الاجتماع الريفي والسوسيولوجيا القروية . Récupéré sur أرنتروبوس [/: https://www.aranthropos.com/](https://www.aranthropos.com/)

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

- ELLER, J. D. (2009). CULTURAL ANTHROPOLOGY GLOBAL FORCES. LOCAL LIVES. NEW YORK AND LONDON, USA ET UK: ROUTLEDGE.
- .EVANS-PRITCHARD, E. E. (1951). social anthropology. london, UK: COHEN & WEST LTD.
- francois, j. (2025). la ville:espace d'integration et de socialisation. Récupéré sur madessertation: <https://www.madissertation.fr/news-astuces-dissertation>
- .Heibert, p. G. (1976). cultural anthropology. washington:j.blippincotcompany.
- .mumford, l. (1970). the culture of cities. new york, usa: A Harvest/HBJ Book.
- redfield, r. (1941). the folk culture of yucatan. london: the university of chicagopress.
- .sharp, t. (1931). town and countryside. london, uk: oxford universitypress.
- Zhou, D. (2022). Mobility and interlinkage: the transformation and new approaches for anthropologicalresearch. International Journal of Anthropology and Ethnology.castel, m. (1981). la question urbaine. paris, france:francoismaspero.
- CASTORIADIS, C. (1975). l'institution imaginaire de la societe. paris, france: éditions de seuil.